SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.23 NO. 2 2024
DOI: 10.51984/JOHS.V23I2.3449

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences
Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

التيمات المشتركة بين خمريات الخيَّام و أبي الهندي؛ دراسة مقارنة

بثينة شموس

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس، سورية.

الملخص

نالت الخمريات أهمية بالغة من الشعراء والدارسين منذ القدم قبل الإسلام وبعده، ولاقت اهتماماً بالغاً في الثقافات عامة، منها الثقافة العربية التي برز فيها الشاعر أبو الهندي الذي كان أول من وصف الخمر في الإسلام، والثقافة الفارسية التي برز فيها الشاعر المعروف عمر الخيَّام الذي كان أحد أهم أعلام الخمريات، وقد اشترك هذان الشاعران في مجموعة من التيمات التي تنبئنا عن تساهلهما فيما يتعلق بأمور الشريعة الإسلامية، لذا عملنا على الخوض في هذه الدراسة وفقاً لمنهج تحليلي وصفي، من أجل بيان تلك التيمات في خمريات أبي الهندي والخيَّام في رباعياته، وبيان الاختلافات التي وقعت بين الشاعرين في طريقة عرضها، وكان من أهم ما توصل إليه البحث أن الخيَّام أفاد من فلسفته في بيان أفكاره لاجئاً إلى عرض الأسباب والتذرع بالحجج المنطقية، كما أفاد من التناص الديني، لكن أسلوب أبي الهندي امتاز ببساطته ووضوحه، وغيرها من النتائج التي سنبينها في البحث الراهن الذي يهدف إلى بيان مقاصد الشعراء القدامى من لجوئهم إلى الخمريات، وما كانت تستدعيه الخمر من خروج عن المألوف لدى الشاعر، وتكمن أهمية البحث في أنه الدراسة الأولى التي تتطرق إلى المقارنة بين الشاعرين معاً، والأولى التي تدرس تلك الثيمات لدى كليهما بتفصيل، أملاً في توضيح مقاصدهما، وتسليط الضوء على أشعارهما.

الكلمات المفتاحية:

أبو الهندي
الأدب المقارن
الخمريات
الخيَّام
الرباعيات

Comparing Common Themes in Wine Poetry Between Khayyam and Abu Hindi

Buthaina Shemous

Arabic Department, College of Arts and Humanities, University of Tartous, Syria

ABSTRACT

Wine poetry has held significant importance for poets and researchers since ancient times, gaining pro in cultures such as the Arabic culture, where the poet Abu Hindi was the first to describe wine in Isl the Persian culture, where the poet Omar Khayyam became one of the most prominent poets of wine These two poets share a set of themes that reveal their leniency towards Islamic jurisprudence. descriptive analytical approach, this article attempts to illustrate the common themes in the wine p Abu Hindi and Khayyam in his quatrains and compare them, to highlight the differences in their pres styles. The study concludes that Khayyam utilized his philosophy to convey his ideas, presenting reas logical arguments, and benefiting from religious intertextuality, whereas Abu Hindi's style was sin clear, and other results that we will present in our paper, which aims to clarify the intentions of ancie in resorting to wine, and what wine required of the poet's departure from the norm, the importanc research lies in the fact that it is the first study that aims to comparison between these two poets, and that studies those themes in both of them poets.

Keywords:

Abu Hindi
Comparative Literature
Khayyam
Quatrains "Rubaiyat"
Wine Poetry

1. المقدمة

كانت الخمريات منذ القدم موضع اهتمام الشعراء، إذ لعب عدم تحريمها في الجاهلية دوراً في إدمان الجاهليين عليها، واستمرّ ذلك لدى جماعة بعد الإسلام، في حين غلب على جماعة أخرى التغني بها كأمنية بعيدة ومحرمة، ولا تختلف الثقافة الإيرانية عن العربية في هذا الأمر، إذ نلمح جنوحاً لدى

*Corresponding author:
E-mail addresses: b.shemous@gmail.com
Article History : Received 06 July 2024 - Received in revised form 03 October 2024 - Accepted 05 October 2024

شعرائها المسلمين إلى الخمر كما هو عند العرب، ولعل من أهم الشعراء الذين جنحوا إلى التغني بالخمر -فيما وصلنا من أشعارهم- الشاعر العربي أبو الهندي الذي وصفه الدارسون بأنه أول من تغنى بالخمر في الإسلام، وأبدع فيها بما بيّنه لنا ما وصلنا من شعره، حتى إن بعض الدراسين عدّوه المصدر الذي استقى منه أبو نواس الكثير من أفكاره وأوصافه وتعابيره، وفي الأدب الفارسي برع الشاعر المعروف عمر الخيَّام في خمرياته، فتغنى بالخمر بكثرة في رباعياته، لذا سنعمل على مقارنة جانب من جوانب الأشعار الخمرية لديهما، وفقاً لما سنوضحه في المنهجية، وذلك بهدف تسليط الضوء على التبعات التي كانت تؤدي إليها الخمر مما كان محرماً أو غير معهود في الشعر، ومحاولة استنباط ما قد يكون وراء ذلك، بغرض فهم فلسفة كل منهما في الحياة من جهة، ومقارنة شاعر عربي بشاعر فارسي تناولا الموضوعات ذاتها، لعلنا بذلك نخطو خطوة ما في الدراسات المقارنة بين ثقافتين بينهما من المشتركات والمتشابهات ما بينهما.

خلفية البحث

نال الخيَّام –دون شك- اهتماماً واسعاً بين الدارسين في الفارسية والعربية، إذ يكفي أن نذكر أن رباعياته ترُجمت إلى العربية على يد العديد من المترجمين الكبار، كما نالت مساحة يعتدّ بها في البحوث والدراسات اعتماداً على أدبيتها أو فلسفتها، غير أننا لم نقع على بحث يتناول تيمات التساهل في الشرائع لديه، كما لم نقع على دراسة تتناول ذلك عند أبي الهندي، على الرغم من وجود بحث بعنوان "الشعر الخمري عند أبي الهندي وأثره في خمريات أبي نواس" للدكتور رزق المتولي رزق أحمد، غير أنه لم يتناول هذا الجانب من خمرياته أيضاً، كما لم نقع على بحث يقارن بين الشاعرين المذكورين في أي جانب من الجوانب، لهذا رأينا أن بعض الموضوعات المشتركة بين الشاعرين تستحق أن يُشار إليها.

أسئلة البحث

يعمل هذا البحث على الإجابة على مجموعة من الأسئلة؛ منها:

1- ما هي التيمات المشتركة بين أبي الهندي والخيَّام والتي يبدو فيها التساهل في الشرائع الإسلامية؟
2- كيف بدا أسلوب كل من الشاعرين في طرح موضوعه؟ وما هي الاختلافات التي كانت بين أسلوبيهما؟

الفرضيات

تقوم الفرضية الأولى بناء على أن خمريات كل من أبي الهندي والخيَّام أظهرت قدراً لا بأس به من الخروج عن الشرائع التي كانت تشكل ضوابط لأشعار غيرهم، والتي تتبدى للمتلقي من اشتهار الأول بالفسق والثمالة الدائمة، واشتهار الآخر بالفلسفة والآراء الغريبة التي حالت دون انتشار رباعياته في فترة حياته، أما الفرضية الثانية فمنشؤها أنه لا بد من أن يبرز الأسلوب الشخصي للشاعرين في عرض الفكرة الواحدة، مما يؤدي إلى العديد من الاختلافات ضمن جملة تلك التشابهات، وهو ما سنعمل على دراسته وبيانه في هذا البحث.

المنهجية

سنعمل -في بحثنا الراهن- على مقارنة التيمات المشتركة في خمريات أبي الهندي والخيَّام وفقاً لمنهج تحليلي وصفي يقوم على أسس المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، التي تعمد إلى إيجاد نقاط التشابه والاختلاف بين الأثرين المدروسين، غير أن مجال البحث لا يتسع لدراسة التيمات المشتركة جميعاً في خمرياتهما، لذا فقد اخترنا منها ما أبدى تساهلاً في الشرائع الإسلامية فقط، إذ قلما نجد شاعراً إسلامياً أبدى علناً تساهله في تلك الشرائع، وقد وجدنا في خمريات الشاعرين ما يبدي تساهلاً في الصيام والصلاة بسبب الخمر والإدمان على شربها، كما لاحظنا أن كليهما أخلّ بطقوس التكفين والدفن المتبعة في الشريعة الإسلامية؛ بخلطهما بين تلك الطقوس والخمر ومستلزماتها، ووجدنا أنهما يدركان مدى فداحة ما يقومان به، غير أنهما لا يرتدعان عن ذلك، بل يؤكدان معرفتهما بما يفعلان أملاً بالمغفرة ويقيناً بأن رحمة الله ستشملهما لا محالة، لذا عملنا على مقارنة ذلك، بادئين بحثنا بدراسة نظرية ترتكز على تعريف الخمر والخمريات والتيمة والتعريف بالشاعرين وأشعارهما، يتبعها دراسة تطبيقية تقوم على ذكر التيمات المشتركة تباعاً، بدءاً بالتساهل في أركان الإسلام، ثم التساهل في طقوس الدفن، ثم الإقرار بالعصيان بشرب الخمر، وأخيراً إظهار الأمل بالمغفرة، بادئين ذلك كله بدراسة التيمة لدى أبي الهندي في خمرياته، ثم الخيَّام في رباعياته، مستشهدين بما وقعنا عليه من أشعارهما، وانتهت الدراسة التطبيقية بقراءة مقارنة، عقبتها خاتمة ونتائج، ثم ختمنا البحث -بعدها- بثبت للمصادر والمراجع التي قام عليها بحثنا.

لا بد من الإشارة إلى أننا عمدنا في بحثنا على الاعتماد على نسختين لرباعيات الخيَّام؛ إحداها فارسية أصلية وتسمى بنسخة "طربخانه"، والثانية تعريب رباعيات الخيَّام للدكتور أحمد النجفي، التي أورد فيها الأصل الفارسي والتعريب له، وقد وردت فيها رباعيات تخدم موضوعنا لم ترد في النسخة الأولى، كما وردت في النسخة الأولى رباعيات لم ترد في الثانية، لاعتمادهما على نسختين خطيتين مختلفتين، وفضلنا ترجمة الرباعيات جميعاً نثراً، لعدم وجود ترجمة منظومة لما أخذناه من النسخة الأولى. كما لا بدّ لنا من الإشارة -أيضاً- إلى أن الاهتمام والمكانة التي حظي بها الخيَّام عامةً نتيجة براعته في الكثير من الميادين منها الشعر، ورباعياتُه خاصةً في الثقافتين الفارسية والعربية نتيجة ما حملته من آراء فلسفية عميقة قد تبدي الفرق شاسعاً بينه وبين أبي الهندي، إلا أن ما دفعنا إلى المقارنة بينهما ما رأيناه من تيمات مشتركة يمكن دراستها من باب التشابه والاختلاف الذي تقوم عليه المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن.

الدراسة النظرية

تعريف الخمر والخمريات

الخمر اسم جامع، وأكثر ما سواه صفات[1]،إذ قد توصف الخمر وفقاً لخلوصها؛ كالسلاف والرحيق والعُقار والمشعشعة[2] ، وقد توصف بلونها وتسمى به؛ كالصفراء والصهباء والكلفاء والكميت والوردة[3]، وقد توصف وفقاً لما تحدثه في شاربها؛ كالحميا والراح والشَّموس والشَّمول والقهوة والمدام[4]، وقد اشتهر القدماء في العصر الإسلامي والأموي والعباسي بالتغني في وصف الخمر، فبرز ذلك في شعرهم، غير أن وصفهم لم يخرج عما كان عليه الجاهليون، إذ انصبّ على إبراز صفاتها الخارجية، وتكررت الصور في وصفها وتشابهت عند الشعراء وقلما أورد أحدهم صورة تخرج عن التقليد الذي كان يقوم على التصوير المادي الدقيق هادفاً إلى إشباع الحواس والتمثيل لها دون غيرها[5]، ونتيجةً لشيوع وصف الخمر بين الشعراء أطلق على الأشعار المهتمة بذلك بالخمريات، وعرّفت بأنها الشعر الذي يقال في وصف الخمر ومذاقها ونشوئها وأثرها في الجسد والروح، ووصف مجالسها وأوانيها وسقائها والجواري اللائي يغنين لشاربها[6]، ومردّ ذلك إلى أن عدداً من عباقرة الشعر في الشرق

والغرب اندمجوا بالخمر، ولم تجُد قريحة بعضهم إلا حين شربوا حتى الثمالة، كما صارت الخمرة رمزاً لدى الكثيرين كالمتصوفة والزاهدين، وقد تميز العرب عمن سواهم في إبداعهم واهتمامهم في تصوير لهوهم وفخرهم وفلسفتهم في خمرياتهم[7].

تعريف التيمة أو الموضوعة

التيمة: الفكرة الأساسية، عرفوها بأنها الفكرة المحورية المهيمنة في عمل أدبي، والفحوى أو المغزى المضمن في أي عمل أدبي[8].

التعريف بالشاعرين

أبو الهندي

هو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي من بني زيد بن رياح بن يربوع[9]، وقيل: بل هو غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي؛ شاعر مطبوع أدرك الدولتين الأموية والعباسية، كان جزل الشعر سهل الألفاظ لطيف المعاني، وسكيراً خبيث السكر، أقام في خراسان وسجستان ومات في إحدى قرى "مرو" عام (180هـ)، وقد أخمل ذكره ابتعاده عن بلاد العرب[10]، واشتهر بالفسق وفساد الأخلاق ومعاقرته للخمر، وكان شاعراً بارعاً وهب شعره جميعه للخمر، وهو من هذه الناحية يعد متمماً للوليد بن يزيد[11]، وقد اتُّفق على أنه شاعر مطبوع لطيف المعاني سهل الألفاظ متين الديباجة تناثر شعره في شتيت المظان ومختلف المراجع في اللغة والأدب والتاريخ، وهو أول شاعر وصف الخمر في الإسلام، واستفرغ شعره في وصفها والتعبير عن خلجات النفس وهواجس الضمير، وشعره على قلته يعطي صورة فنية جميلة، وهو عذب لطيف المعاني حسن الألفاظ جزيل التراكيب وكان أبو نواس يسلخ جلّ معانيه ويفرغها في شعره[12]، فقد أورد جامع الديوان الكثير من الروايات عن غير واحد من القدماء تروي أن أبا نواس سرق معانيه من أبي الهندي[13].

عمر الخيَّام

هو عمر بن إبراهيم الخيَّامي النيسابوري، أبو الفتح، غياث الدين؛ شاعر فيلسوف فارسي، من أهل نيسابور مولداً ووفاةً، كان عالماً بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ، وذكر أنه كان أحد الحكماء الثمانية في عصر السلطان جلال الدين "ملكشاه"، وهم الذين وضعوا التاريخ الذي يبدأ بنزول الشمس أول الحمل، وعليه كان بناء التقاويم[14]، برع بتأليف ما يزيد عن عشرين رسالة في الرياضيات والفلك والعلوم والفلسفة واللغة والجبر والهندسة والموسيقا والتاريخ والفقه والشعر والحكمة[15]. اختُلف في سنة ولادته ووفاته، إلا أن المرجح أن ولادته كانت سنة 430هـ ق ووفاته بين 506-530هـ ق، وقد رجّح بعض الباحثين أن سبب لقبه ربما يعود إلى كون والده كان يصنع الخيام أو يبيعها[16]، وقد ذاع صيته بسبب رباعياته التي نقلت إلى لغات عديدة؛ منها العربية شعراً على يد بديع البستاني وأحمد الصافي النجفي وأحمد رامي، ونثراً ونظماً على يد جميل صدقي الزهاوي[17].

والرباعية هي أربع شطرات موزونة على بحر الهزج المثمن، تتضمن فكرة واحدة[18] بقافية موحدة في الأشطر الأول والثاني والرابع[19]، وهي من مبتكرات الفرس التي يطلق عليها بعضهم مصطلح "دوبيتي"؛ أي: المكوّن من بيتين، لكن الرباعي يختلف عن "دوبيتي" في الوزن، فضلاً عن إمكانية عدم ترابط أشطره في المعنى والفكرة والقافية[20]، غير أن بعض الفرس حصروا الفرق بينهما في الوزن فقط[21]، وقد ظهر الرباعي لديهم على يد الشاعر الكبير "رودكي السمرقندي"، إلا أنه لم يأخذ مقامه إلا على يد عمر الخيَّام[22]، إذ ذاعت شهرة رباعيات الخيَّام لما يُظهر فيها للعامة من آراء جريئة في الكون والحياة، مما جعل شهرته بسببها تغلب على شهرته بصفته عالم فلك ورياضيات[23]، غير أن جرأة الأفكار التي طرحتها حالت دون شيوعها في زمن الشاعر، وقد اختُلف في عددها بسبب إضافة الكثير إليها فيما بعد [24].

الدراسة التطبيقية: التيمات المشتركة في الخمريات

أثناء مطالعة أشعار الشاعرين المذكورين تبيّن لنا اشتراكهما في أفكار تدل على تساهلهما في أمور الدين، وبغضّ النظر عن كونهما كذلك حقاً أم أن ذلك كان ادّعاء أبدياه في أشعارهما، رأينا أنه من الجيد تسليط الضوء على تلك المشتركات، وبيان الاختلافات التي وقعت بينهما فيها.

التساهل في أركان الإسلام

برز لدى الشعراء المداومين على شرب الخمر جهرهم بترك شعائر الإسلام، فشربهم للخمر بذاته إخلال، ولكنه -فضلاً على ذلك- يحول دون بقاء الأركان الأخرى، ولعل أهمها ترك الصوم في رمضان لعدم القدرة على ترك الخمر لشهر كامل، وهو ما أعلن عنه كل من أبي الهندي والخيَّام في أشعارهما، فما نراه من إقرار أبي الهندي بشرب الخمر في رمضان قوله[25]:

شرِبْتُ الخَمْرَ فِي رَمَضَانَ حَتّى
رَأَيْتُ البَدْرَ لِلْشِّعْرَى شَرِيْكَا
فَقَالَ أَخِـي الدُّيُوْكُ مُنَادِيَـاتٌ
فُقُلْتُ لَهُ: وَمَا يُدْرِي الدُّيُوكَا

وهو ما اتفق معه الخيَّام في قوله[26]:

گويند مخور باده بهشعبان نه رواست
نه نيـز رجب كه آن مه خاص خداسـت
شعبان و رجب مه خدايست و رسول
می دررمضان خوريم كهآن خاصهی ماست

(قالوا: لا تشرب الخمر في شعبان، ولا في رجب لأنه شهر الله. شعبان ورجب شهرا الله ورسوله، لذا سنشرب الخمر في رمضان، فهو شهرنا).

إذ يبدو أن الخيَّام فصّل وبرر شربه للخمر في رمضان، فاختار شهر العباد، وهذا تلميح بالحديث النبوي الشريف الذي لن نخوض في كونه باطلاً أو لا، فذلك لا يخدم موضوعنا، إذ يبدو أن الشاعر يعتقد بصحته حتى أورده في رباعيته: "رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي"[27]، وحديث آخر: "خيرة الله من الشهور شهر رجب، وهو شهر الله؛ من عظم شهر رجب فقد عظم أمر الله، ومن عظم أمر الله أدخله الله جنات النعيم، وأوجب له رضوانه الأكبر، وشعبان شهري، فمن عظّم شهر شعبان فقد عظّم أمري، ومن عظّم أمري كنت له فرطاً وذخراً يوم القيامة، وشهر رمضان شهر أمتي، فمن عظم شهر رمضان، وعظم حرمته، ولم ينتهكه، وصام نهاره، وقام ليله، وحفظ جوارحه، خرج من رمضان وليس عليه ذنب يطالبه الله تعالى به"[28].

وقد تكررت التيمة ذاتها أيضاً في قوله[29]:

گوينـد كه مـاه رمضـان پديد
مـن بعد بگرد بـاده نتوان ديـد
من در آخر شعبان بخورم چندان می
كه اندر رمضان مست بخستم تا عيد

(قيل لي: "جاء رمضان"، فلن أستطيع ارتشاف الخمر، لذا سأشرب منها في ختام شعبان الكثير حتى أبقى ثملاً إلى يوم العيد).

لا يبدو لنا التردد في إشهار شرب الخمر في رمضان لدى أبي الهندي كما يبدو لدى الخيَّام، فأبو الهندي أقرّ دون شعور بالإثم بشرب الخمر في رمضان، غير أن الخيَّام -على ما يبدو- شعر بذلك، فأثقل عليه، وهو ما جعله يبحث عن ذريعة في رباعيته الأولى، ليطلقها في وجه من يلومه على ما يقوم به، وقد يكون هذا اللائم معادلاً لضمير الشاعر ولاوعيه، لذا أوجد لنفسه تلك الفتوى مستفيداً من توظيف الحديث النبوي الشريف، وذلك لما عرف عنه من فلسفة وحكمة راح يستند إليها في رباعياته، متّبعاً أسلوباً فلسفياً في عرض المقدمة للوصول إلى حل المسألة أو دحضها، وهو ما لم يكن لدى أبي الهندي الذي عرض ما أراده ببساطة، أما في الرباعية الثانية للخيام فقد أبدى لنا أنه سيمتنع عن شرب الخمر في رمضان، ولكن امتناعه هذا مبطّن بعجزه عن القيام بذلك حقاً، فقد أقرّ -بشكل غير علني- بأنه عاجز عن الحفاظ على نفسه غير ثمل، لهذا أوجد طريقة تبدو في ظاهرها مستحيلة؛ وهي أن يشرب في شعبان كمية تبقيه ثملاً حتى ينقضي رمضان ويأتي العيد، ولكنها في باطنها تفضح لنا عجزه، وتبدي لنا أنه لن يلتزم بما قاله.

وقد أفاض الخيَّام في رباعياته في الإشارات الصريحة لإخلاله بالصيام، إذ نراه يؤكد على شربه الخمر في رمضان قائلاً[30]:

من بادەي تلخ تلخ ديرينـه خورم
واندر رمضان در شب آدينه خورم
انگار حلال خويش در خم كردم
گو تلخ مكن خداى تـا مـن نخورم

(سأشرب الخمر المعتقة الصافية في كل حين حتى في ليل رمضان، وقد ملأتُ الدّن بالعنب الحلال، فادعُ ربك ألا يصبح خمراً حتى لا أشرب منه).

ليس بعيداً عن الخيَّام أن يدعم قوله بحكمته وفلسفته التي يفيد منها في عرض رأيه، فقد ملأ دنّه بالراح، ونسب ذلك الجنوح إلى شهوة الخمر إلى الجبر، نافياً عن نفسه أي اختيار في ذلك حين قال: "فادعُ ربك ألا يصبح خمراً" وكأنه بذلك يقول: لو أراد الله لي ألا أشرب لما أذن بتحوله إلى خمر، وقد وصل به الأمر إلى الشرب في ليلة القدر، إذ يقول[31]:

هشـــيار نبودەام دمى تا هســـتم
ور خود شب قدر است هم امشب هستم
لب بر لب جام وسينه بر سينەى خم
تـــا روز بگـردن صـــــراحـى دســـــتم

(لم أصحُ من السكر لحظة، فأنا أبقى ثملاً حتى في ليلة القدر، أقبّل الكأس وأعانق الدنّ وتبقى يدي على عنق الكأس حتى يحل النهار).

ولم يكن الركن الوحيد الذي زعزعته الخمرة لدى الشاعرين صيامهما، بل نرى إشارات صريحة لتركهما الصلاة بسبب الخمر، وهو ما بيّنه أبو الهندي في إبراز تلكؤ الشارب عن الوضوء بقوله[32]:

وَأْتُوهُ بِطَهُوْرٍ طَيِّبٍ لِيُصَلِّي فَتَلَكَّا وَقَطَبْ

وقد تكرر الأمر ذاته لدى الخيّام، ولكنه -هنا- لم يفصل الصوم عن الصلاة، فأقر بأنه ترك صومه وصلاته من أجلها، إذ يقول[33]:

تا بتوانى خدمت رندان مى كن
بنياد نمـاز و روزه ويـران مى كن
بشنو سخن راست زخيام عمر
مى ميخور و ره ميرو و احسان ميكن

(كن خادماً للخمر قدر استطاعتك، واهدم ركني الصلاة والصوم، واسمع خير الكلام من عمر الخيَّام إذ يقول: اشرب الخمر وانطلق إلى الخيرات).

إذ يقرّ علناً بتركهما من أجل الخمر، خلافاً لأبي الهندي الذي لم ينسبها إلى نفسه صراحة، بل عمّمها بنسبها لكل شارب خمر، كما أنه لم يحسم أمر تركها، بل قال "تلكأ"، فدلّ بذلك على التراخي في القيام إليها، كما لم يكتفِ الخيَّام بالإعراض عن الصلاة والصيام والاندفاع وراء الخمر، بل نصح البقية بفعل ذلك، مساوياً بين شرب الخمر والإحسان أو فعل الخيرات، وكأنه -بذلك- يعادل بينهما في كفتي الميزان، ويعاود إلى الإقرار بتركهما من أجل الخمر إذ يقول[34]:

طبعم بنماز و روزه چون مايل شـد
گفتم كه نجـات كليم حاصل شـد
افسوس كه آن وضو بگوزى بشكست
واين روزه به نيم جرعه مى باطل شد

(عندما ملت إلى الصيام والصلاة ظننت أنني وصلت بذلك إلى النجاة الحقيقية، ولكن ذلك الوضوء -للأسف- يَفسد بكأس، والصوم يَبطل بنصف كأس من الشراب).

فبعد أن مالت كفة الصلاة والصيام لديه رغبةً في النجاة عاد إلى نقطة البداية، وهو –كعادته- برر رأيه وتذرّع بذريعة ما لإباحة ما يقوله بنظرة فلسفية مفادها أن الخمر تبطل الوضوء والصيام، وهو -بذلك- يُكسبها التفوق عليهما في نفسه، فكان ما قاله في الشطر الثاني من الرباعية السابقة "اهدم ركني الصلاة والصيام" مفسَّراً في هذه الرباعية في أن الكأس منها يفسد الوضوء، ونصفه يفسد الصيام، ثم وصل الأمر غايته حين أباحها للوضوء في الحانة بقوله[35]:

در ميكده جز بمى وضو نتوان كرد
وين نـام كه زشت شد نكو نتوان كـرد
مى ده كه كنون پردەى مستورىِ ما
بدريده چنان شـــد كه رفو نتوان كرد

(لا يمكن الوضوء إلا بالراح في الحانة، ولا يمكن محو الفسوق عن هذا الاسم ليصبح صالحاً، فاستقني الخمر، فقد تمزق ذلك الستر الذي كان يسترنا بشكل لا يمكن رتقه إطلاقاً).

فهو -بهذا- يقرّ بأنه لن يبرح الحانة حتى للصلاة، ولن يكترث بما لحق باسمه من فساد.

التساهل في طقوس الدفن

من المعروف أن طقوس الدفن الإسلامية تقوم على وجوب غسل الميت بالماء، وقد يطيّب بالكافور أو السدر[36]، ثم تكفينه بطريقة معينة بثياب حسنة وساترة للبدن[37]، ثم حمله إلى القبر على نعش ووضعه فيه[38]، والسنّة أن يكون القبر في المقابر [39].

ولعل هذه الطقوس نالت الحظوة الكبرى في اشتراك التيمات بين الشاعرين، ولو كانت ضمن الإطار المألوف لما نالت من الاهتمام شيئاً يجعلها تصلح للدراسة، ولكن سمتها في شعريهما أنها كانت خارجة عن الشرائع الإسلامية، إذ فضّلا أن يكون القبر كرماً، والثرى قدحاً، والكفن راحاً، فنرى أبا الهندي يقول[40]:

وَإِذَا حَانَتْ وَفَاتِي فَادْفِنُونِي
بِكَرْمٍ وَاجْعَلُوا زِقَّاً وِسَـادِي

وَإِبْرِيْقاً إِلَى جَنْبِي وَطَاسَـاً
يُرَوِّي هَامَتِي وَيَكُونُ زَادِي

إذ نرى أنه قلب الموازين، واختار الخروج عن الشريعة بأكملها في شعره؛ فاختار الكرم بدلاً من المقبرة، والزق والإبريق والطاس كمرافقات له في لحده بدلاً من الكفن والطيب، وجعل زاده خمراً بدلاً من العمل الصالح، فجعل – بذلك- مرافقاته في موته كلها من مرافقات الخمر، وهو بذلك يريد أن يدلل لنا على أهميتها بالنسبة له، وكأنه أراد بها أن يدفع الموت، لهذا قد يتوارد إلى الذهن أنها معادل للحياة في رأيه، وهو ما يتكرر في قوله[41]:

اجْعَلُوا إِنْ مُتُّ يَوْمَـاً كَفَنِي
وَرَقَ الكَرْمِ وَقَبْـرِي مَعْصَـرَه
وَادْفِنُونِي وَادْفِنُوا الرَّاحَ مَعِي
وَاجْعَلُوا الأَقْدَاحَ حَوْلَ المَقْبَرَه

فالكفن كرم بدلاً من الثياب، والقبر معصرة، والمرافقات الراح والأقداح في صورة تمثيلية خمرية متكاملة للدفن استعاض في رموزها كلها بتابع من توابع الخمر، كما تتكرر الصورة لديه في قوله[42]:

وَإِذَا مُتُّ اِضْجِعَانِي وَافْرِشَا
مِنْ عَصِيْرِ الكَرْمِ تَحْتِي فُرُشَا
وَاقْطَعَا لِـي كَفَنَاً مِنْ زِقِّهَا
وَاطْرَحَـا مِنْهَا عَلَيْه وَارْشُشَـا
وَادْفِنَانِي يَـا نَدَيْمَيَّ إِلَى
جَنْبَ كَرْمٍ فَرْعُهُ قَـدْ عَرَّشَـا
لِيَظَلَّ الفَرْعُ مِنِّـي ظَـاهِرَاً
وَيُرَوِّي الأَصْلَ مِيِّ العَطِشَا

يبدو لنا -مما تقدم- أنه اختار القبر كرماً مرة، ومعصرة مرة ثانية، ولم يحدده في الثالثة، والكفن زقاً مرتين وورق العنب مرة، وملازمات القبر الإبريق والطاسة والراح وعصير الكرم، والمقبرة كرماً ثلاث مرات، ومخالفة الشريعة ظاهرة فيها جميعاً، وهذا نوع من المبالغة لإظهار ولعه بالخمر من جهة، ومن أخرى لبيان رمزيتها لديه، فهي معادل للحياة في مواجهة الموت، وهو ما نراه أيضاً عند الخيَّام إذ يقول[43]:

اى همنفسان مرا زمى قوت كنيد
وين چهره كهربا چو ياقوت كنيد
چون در گذرم بمى شـويد مرا
وز چوب رزم تخته‌ى تابوت كنيد

(أيها الأحياء اجعلوا قوتي في الخمر، واجعلوا هذا الوجه الشاحب يشعّ نضارة كالياقوت، وإذا مت فاغسلوني بالراح، واصنعوا تابوتي من الكرم). وهو ما يتلاقى –أيضاً- مع قوله[44]:

چون درگذرم بباده شويد مرا
تلقين زشراب و جام گويد مرا
خواهيد بروز حشر يابيد مرا
از خاک درِ ميكده جويد مرا

(اغسلوني بالراح عندما أموت، واذكروها ولقنوني منها ومما في الكأس، ولو أردتم لقائي في يوم الحشر فاطلبوني من ثرى باب الحانة).

فليست طقوس الدفن ما اختلطت بالخمر وحسب، بل وصل ذلك إلى يوم الحشر في هذه الرباعية، وإلى ما بعد الموت في قوله[45]:

چندان بخورم شراب كاين بوى شـراب
آيد زتراب چون شـوم زيـر تـراب
تا گر سـر خاكِ من رسـد مخمورى
از بوىِ شرابِ من شود مست وخراب

(شربت الراح بكثرة حتى إن رائحتها ستنبعث من التراب حين أدفن فيه، وإن وصل إلى قبري مخمور فسيثمل من تلك الرائحة التي تنبعث من ثراي). وقد تكررت هذه التيمة غير مرة في رباعياته، كقوله أيضاً[46]:

هوشـم به شـراب ناب باشـد دايم
گوشـم بنى و رباب باشـد دايم
گر خاک مرا گوزه گران كوزه كنند
آن كوزه پر از شراب باشد دايم

(يميل ذهني إلى الخمر دائماً، ويميل سمعي إلى عزف الناي والربابة دائماً، ولو جعل حفارو القبور قبري حين دفني من الأقداح فليتهم يملؤونه بالشراب دائماً)، وكقوله أيضاً[47]:

چون مرده شوم خاک مرا گم سازيد
احوال مرا عبرت مردم سازيد
پس خاک وگلم بباده آغشـته كنيد
وزكالبدم خشت سرخم سـازيد

(حين أموت أخفوا رفاتي، واجعلوا حالي عبرة للناس، وامزجوا ثراي بالخمر، واصنعوا من جسدي غطاءً لها)، وقد صرّح في رباعيته الآتية بسبب ربط طقوس الدفن بالخمر، إذ عدّها معادلاً للحياة، ووسيلة لمواجهة الفناء، فلربما تبعث فيه الروح بعد موته، إذ يقول[48]:

در پاى اجل چو من سر افكنده شوم
وزبيخ نهال عمر بر كنده شـوم
زنهـار گِلم بجـز صراحـى نكنيـد
باشد كه زباده پر شود زنده شوم

(حينما أموت ويُجتثُّ عمري من جذوره فاجعلوا طيني من قدح الراح، علّه يمتلئ يوماً بها فأحيا من جديد).

يبدو لنا أن أبا الهندي اتخذ الخمر وسيلة للحياة، ورمزاً لها يواجه فيا فناءه بالموت، وهي عند الخيَّام محاولة لمواجهة الموت والشعور الكبير بالفراغ الذي يظهر لنا في رباعياته كلها، فالدافع لشربها -أو لادّعاء ذلك- وإيرادها بهذه الطريقة في الشعر ذاتيّ يعود إلى الغربة النفسية التي خيّمت -ربما- على الشاعرين، وشعورهما بالعبثية والفناء، وهو ما أبدته لنا صراحة رباعيات الخيَّام غير مرة، وأبدته لنا أخبار أبي الهندي وبعض أشعاره، وربما يكون اندفاع الخيام إليها أيضاً أنه كان يتنبه لفكرة الفناء العاجل، ويتوقع الموت في كل لحظة، لذلك كانت دعوته ملحّة للاستمتاع بلذات الحياة في الساعات القصيرة التي يحياها كما رأى بعض الدارسين[49]، وهو ما يمكن أن يشمل أبا الهندي أيضاً.

الإقراربالعصيان بشرب الخمر

ربما كان ما يزيد الإثم إثماً المجاهرة في المعصية، غير أن هذا لا ينطبق على الشعراء، بل نرى أحياناً أن الشاعر لا يجاهر بمعصيته وحسب، بل يفاخر ويتغنى بها، كما فعل أبو الهندي في قوله[50]:

أَشْرَبُ الخَمْرَ وَأَعْصِي مَنْ نَهَى
عَنْ طِلَابِ الرَّاحِ وَالبِيْضِ الحِسَانِ

فِـي حَيَاتِـي لِذَّةٌ أَلْهُـو بِهَـا
فَـإِذَا مُـتُّ فَقَـدْ أَوْدَى زَمَـانِـي

إذ يعصي من نهى عن ملذاته، مفتخراً بأنه سيقضي حياته العابرة في قضاء ملذاته، وهو ما نراه لدى الخيَّام أيضاً؛ إذ لا يلقي بالاً لما يقال عنه، يقيناً منه بأنه يعرف نفسه وسريرته؛ يقول[51]:

گر خود زمی مغانه مستم هستم
ور کافر و رند وبت پرستم هستم
هر طایفه‌یی بمن گمانی دارند
من ز آن خودم چنانکه هستم هستم

(أنا منتشٍ من الراح المجوسية وما زلت مدمناً إياها، لذا فكل طائفة تراني كما تريد، وأنا لنفسي على ما أنا عليه).

لكن الثقة التي واجهنا بها الخيَّام في أنه لا يعدّ الخمر معصية حتى يحاول إخفاءها تختفي في الرباعية الآتية، وتتحول إلى ضعف عزيمة، وعدم القدرة على تركها، إذ يقول[52]:

هر توبه که کردیم شکستیم همه
بر خود در ننگ ونام بستیم همه
عیبم مکنید گر کنم بیخودیی
گز باده‌ی عشق مست مستیم همه

(نقضت التوبة في كل مرة تبت، وألحقت باسمي العار والضِّعة، فلا تعيبوا عليّ ذلك، فأنا ثمل من خمرة الحب حتى أعماقي).

فتوبته المتكررة ونقضها في كل مرة دليل على الإيمان الداخلي بتحريمها، ولكن ضعف النفس والانقياد للهوى كانا أقوى من تلك القناعة، فهو هنا يعترف بعصيانه، وينسب إلى خمرته مفهوماً صوفياً، ويجعلها خمرة الحب، غير أنه لا يواجه الآخر اللائم بالتحدي كما في الرباعية السابقة، بل يقابله بإظهار الضعف والاعتراف بالخطيئة، وهو ما نراه يتكرر عنده مرة أخرى في قوله[53]:

یکدست بمصحفیم ویکدست بجام
گه مرد حلالیم وگهی مرد حرام
مائیم در این گنبد فیروزه مقام
نی کافر مطلق و نه مسلمان تمام

(في إحدى يدي المصحف وفي الأخرى الكأس، فأنا رجل حلال مرة وحرام مرة أخرى، فلا مكانة لي تحت هذه السماء الزرقاء، فمرة أكون مسلماً محضاً، ومرة كافراً جاحداً).

إذ يحاول، ويعرف أنه على خطأ، ولكن يبدو أنه ليس بيده حيلة، لهذا بقي في مقام وسط بين الحلال والحرام والكفر والإيمان وشرب الخمر والطاعة.

إظهار الأمل بالمغفرة

تبدو نفحات من الإيمان تهبّ من أبيات الشاعرين في إيمانهما بأن الله سيغفر لهما شربهما للخمر، فها هو شاعرنا أبو الهندي يقول[54]:

إِنَّنِي أَرْجُو مِـــنَ اللهِ غَدَاً
بَعْدَ شُرْبِ الرَّاحِ حُسْنَ المَغْفِرَه

ولكنه لا يتخلى عن مطلبه بأن تكون طقوس دفنه ومرافقاتها من الخمر، فنراه يطلب أن يدفن في قبر مفترش بالخمر، ثم يطلب المغفرة من الله على ما تمناه، إذ يقول[55]:

وَإِذَا مُتُّ اضْجِعَانِي وَافْرِشَا
مِنْ عَصِيْرِ الكَرْمِ تحَتِّي فُرُشَا
وَكِلَانِي بَعْدَ هَاتِيْـكَ إِلَى
رَاحِـمٍ يَفْعَلُ فِيْنَا مَـا يَشَـا

نلاحظ أن المغفرة لدى أبي الهندي مرتبطة بالخمر، ولكن علاقتهما تعاقبية، إذ قال في الأول "بعد شرب الراح" وفي الثاني: "وكلاني بعد هاتيك"، فالشرب والمغفرة لديه ليسا متلازمين بل متعاقبين، خلافاً لما سنراه عند الخيَّام الذي كان الإثم في رباعياته مزامناً للمغفرة، كما أن إيمان الخيَّام كان أشد رسوخاً بأنه لم يرتكب إثماً بشربه الخمر، وهو اعتقاد يتبدى لنا في الكثير من رباعياته، وحين كان يطلب المغفرة كان يفترض وجود معادل موضوعي له، يمثله –غالباً- شيخ ثمل دائماً، مثله تماماً؛ إذ ذكر في بعض رباعيته أنه اجتاز السبعين، ولا يكف عن شرب الخمر، وهذا المعادل الموضوعي يعمل كمرآة تخرج ما يودّ الشاعر سماعه، أو ما يود قوله في أن ما يرتكبه سيُغفر له، إذ يقول[56]:

سرمست بمیخانه گذر کردم دوش
پیری دیدم مست وسبویی بر دوش
گفتم زخدا شرم نداری ای پیر
گفتا که کریم است خدا، باده بنوش

(مررت بالحانة ليلة أمس ثملاً، ورأيت هناك شيخاً ثملاً يحمل على أكتافه إبريقاً، فقلت له: ألا تخجل من نفسك أيها الشيخ؟ فقال: ربنا كريم، فاشرب الخمر).

فهو هنا يعوّل على كرم الله ومغفرته لعباده، ولا يرتدع عن شربه، فالأمران متلازمان تماماً، وثقته بكرم الله وعفوه تجعله يأمر الآخرين بأن يشربوا الخمر، ويكرر ذكر هذا الشيخ في رباعية أخرى، إذ يقول[57]:

پیری دیدم بخواب مستی خفته
وز گرد شعور خانه‌ی تن رفته
می خورده ومست خفته وآشفته
"الله لطیف بعباده" گفته

(رأيت شيخاً ثملاً قد أنهى عليه الشراب، وأزال عنه من كل ما في جسده من مشاعر، إذ شرب الراح وثمل، وقال وهو على ثمالته: الله لطيف بعباده).

فمزامنة مع الثمالة كان اليقين بالمغفرة، واللطف بالعباد نوع من طمع العباد بالمغفرة، وقد حقق تناصاً مع الآية القرآنية الكريم على لسان الشيخ: "الله لطيف بعباده" [الشورى: 19] ووظّفها في خدمة مراده، وقد تخلى الشاعر عن قناع الشيخ غير مرة في رباعياته، غير أنه لم يتخلَّ عن أمله بالمغفرة، إذ يقول[58]:

آباد خرابات زمی خوردن ماست
خون دو هزار توبه در گردن ماست
گر من نکنم گناه رحمت که کند
آرایش رحمت از گنه کردن ماست

(صارت الحانة عامرة بنا، وقد نقضنا توبتنا أكثر من ألفي مرة. لو لم أذنب وأرتكب الآثام فما فائدة العفو؟! إن زينة العفو بوجود الإثم).

فما زال يأمل بالمغفرة على الرغم من أنه أقرّ بتوبته ورجع عنها أكثر من ألفي مرة، وما كان سبب نقضه للتوبة إلا غلبة النفس في كفة، والأمل بالمغفرة في كفة أخرى، ثم يأتي بسؤال فلسفي إنكاري يحتّم وجود الإثم لتبرير وجود العفو، ويجيب عليه بنفسه بأن العفو والإثم وجهان لعملة واحدة، ولا يكون

أحدهما دون الآخر، وهو بذلك يقطع الشك باليقين بأنه سينال العفو، فوجوده رهن بما اقترفه من آثام، ونراه مرة أخرى يطلب الرحمة من الله لقلبه الأسير لأهوائه، ولصدره المكتظ بالهموم، ولرجله التي ألفت طريق الحانة، وليده التي لازمت الكأس، إذ يقول[59]:

يا رب بدل اسير من رحمت كن

بر سينه‌ى غم پذير من رحمت كن

بر پاى خرابات رو من بخشاى

بر دست پياله گير من رحمت كن

(ربي، ارحم قلبي الأسير الذي أضنته الأشجان فامتلأ بها صدري، وارحم قدمي التي اعتادت على الذهاب إلى الحانات، وارحم يدي التي كانت تمسك بالكأس دائماً).

فاستجداؤه هنا للخالق لا يزعزع ما رأيناه من ثقة بأن ذنبه مغفور، بل يناجي ربه ويكرر في كل شطر قوله: "رحمت كن: ارحم"، مؤكداً على أن الرحمة صفة الخالق الذي سيغفر له ما عدّده لكل عضو من أعضائه، وهو يؤكد على تلك الرحمة في موضع آخر، إذ يقول[60]:

از خالـق كرد گـار وز رب رحيم

نوميد نيم به جرم وعصيان عظيم

گرمست و خراب مرده باشم امروز

فردا بخشـد باسـتخوان‌هاى رميم

(أنا لا أقنط من خالقي الرحيم، ولا أيأس من آثامي وعصياني العظيم، فلو مت اليوم ثملاً وعاصياً، فسيعفو غداً عن عظامي وهي رميم).

إذ أعاد توظيف التناص مع القرآن الكريم في الوصول إلى مراده بتعبير قرآني: "العظام رميم" الذي ورد في سورة [يس: 78]. مهما عظمت ذنوبه فهو على يقين من رحمة ربه، وفي كل ما سبق نرى أنه يربط المغفرة بالشراب، وفيها كلها ربطهما بعلاقة مزامنة، وكأن أحدهما لا ينفك عن الآخر لحظة، إلا في الشاهد الأخير؛ إذ جعل المغفرة فيه تأتي بعد الإثم، مدلِّلاً على الدنيا بقوله: "امروز: اليوم"، وعلى الآخرة التي سينال فيها العفو بقوله: "فردا: غداً".

قراءة مقارنة

يُظهر لنا هذا البحث أن الشاعرين اهتمّا بالخمرة أيما اهتمام، وذكراها في أشعارهما حتى صارا يُعرفان بها، وقد اشتركا في بعض التيمات المختلفة عن المعهود بين الشعراء، ولعل أهم تلك التيمات المشتركة بينهما تلك التي تشير إلى التساهل في أركان الإسلام أو الإخلال في الشريعة، وهو ما بدا في بعض أشعارهما، ومن ذلك التساهل في الصلاة والصيام بسبب الخمر، إذ أظهر أبو الهندي تلكُّؤ شارب الخمر عن أداء الصلاة، فبدا بذلك أقلّ جرأة من الخيَّام الذي نسب ترك الصلاة إلى نفسه، وليس إلى شارب الخمر عامة، وأعلن تركها كلياً دون تلكؤ، وقد بالغ الخيَّام في تساهله حين أباح الوضوء للخمر في الحانة، معرباً –بذلك- عن عدم تمكنه من مغادرة الحانة حتى لو كان من أجل الصلاة، كما أكسب الخمرة قوة بقدرتها على نقض الوضوء وكسر الصيام بكأس أو نصف كأس منها، موجباً بذلك هدم ركني الصلاة والصيام وداعياً إلى شرب الخمر، وقد جمع في بعض رباعياته بين الصيام والصلاة، وأفرد لكل منهما رباعيات أخرى، خلافاً لأبي الهندي، إذ لم يرد كل منهما إلا مرة على حدة فيما وصلنا من أشعاره، والذي كان في ترك الصيام أشد جرأة منه في ترك الصلاة، وفيما يتعلق بطقوس الدفن نرى إصراراً من الشاعرين على جعل الغسل والكفن والقبر من توابع الخمرة، فاتفقا في جعل الكرم مقبرة والثرى راحاً وأقداحاً، في إشارة ضمنية من كليهما إلى أن الخمرة معادل للحياة في مواجهة الفناء والعدم، ولذلك يمكننا الاعتقاد بأن لجوءهما إلى الخمرة كان لرتق الشرخ الروحي الذي قد يحدثه الفناء والنظرة العبثية إلى الحياة، أي إن الدافع لدى كليهما ذاتي، ولا يستبعد أن يكون اجتماعياً ناتجاً عن غربة اجتماعية جعلت كلاً منهما يجد ملاذه في الخمر، وللإقرار بذلك لا بد من دراسة الظروف الاجتماعية التي عاشها كل منهما، وهو ما يضيق عليه بحثنا، وتأكيداً على الدافع الذاتي لدى الخيام رأى بعض الدارسين أنه يتناول في رباعياته المسائل الفلسفية الكبرى كالحياة والموت التي يعالجها العقل والبصيرة، ونلمح فيها صبغة فلسفية واضحة تتضمن التمرد على الحياة، لما اعتراه من قلق وحيرة وجودية ملأى بالتساؤلات التي لم يجد لها أجوبة، فأراد أن يدفن حيرته وعذابه وقلقه في كؤوس المداد[61]. والتيمة الأخرى المشتركة بين خمرياتهما فيما يتعلق بمخالفة الشرائع الإقرار بالعصيان بشرب الخمر، والتي تبدّت لدى أبي الهندي بجرأة وثقة، وكأنه لا يخشى في ذلك لومة لائم، أما لدى الخيَّام فقد تراوحت بين الجرأة مرة والتوسل وإظهار الضعف والعجز مرة أخرى، وقد بيّن غير مرة في رباعياته أن عصى وتاب وعاد إلى عصيانه مراراً، وما كان ذلك إلا لغلبة هواه وثقته العميقة بأن الله سيغفر له، وهو ما يشكل التيمة المشتركة الأخيرة، إذ دفعت به ثقته بالمغفرة إلى الانقياد إلى النفس مراراً، فلم تكن توبته نصوحاً، وهو ما أظهره أبو الهندي أيضاً، غير أنه صرّح بطمعه بالمغفرة دون أن يتوب أو يحاول، كما أن اعتقاد أبي الهندي بالمغفرة كان لاحقاً بارتكابه للإثم بشربه للخمر، خلافاً للخيّام الذي كانت المغفرة لدية مزامنةً لشرب الخمر، وكأنهما وجهان لعملة واحدة، وقد تكرر ذلك في عدة رباعيات، ولم تخرج عن هذا الحكم إلا رباعية واحدة طلب فيها المغفرة في يوم الحشر، كما أنه استحضر معادلاً موضوعياً لنفسه وقناعاً لضميره مرات، وتخلى عن المعادل وأعرب عن نفسه مرات أخرى، ليؤكد فكرة يقينه بأن مغفرة الله ورحمته ستشمله، لهذا كرر وصف الله عزّ وجلّ بالكريم والرحيم في الرباعيات التي تناولت هذه التيمة.

ولعل أهم ما يميز أسلوب أبي الهندي في عرض أفكاره في العناوين المذكورة البساطة والبعد عن الفلسفة والتعقيد، خلافاً للخيام الذي برزت فلسفته في احتجاجات معينة يتذرع بها، وفي أسلوبه الذي يعتمد على إقناع الآخر، وعرض المقدمات للوصول إلى النتائج، فعمل في رباعياته المدروسة كلها على تبرير ما يفعله بسبب تأثير الخمر بأسلوب فلسفي، كما أفاد من التناص الديني بما يناسب غرضه؛ موظِّفاً الحديث النبوي الشريف والقرآن الكريم في رباعياته غير مرة، وهي ميزة لم نلحظها أيضاً في أشعار أبي الهندي. بهذا نرى أن التيمات المدروسة تشابهت بين الشاعرين، إلا أن أسلوب كل منهما اختلف في طريقة عرضها وبيانها، بما يعكس شخصيته وفكره ويبين لنا جانباً من شخصيته فضلاً عما يكشفه من ميزات شعره.

خاتمة ونتائج

تناول أبو الهندي والخيَّام مجموعة من التيمات التي تبدي في ظاهرها خروجاً على الشريعة الإسلامية في خمرياتهما؛ منها: التساهل في أركان الإسلام، والتساهل في طقوس الدفن، والإقرار بالعصيان بشرب الخمر، وإظهار الأمل بالمغفرة، وقد اختلطت هذه التيمات بالخمر لديهما، فكانت أفكارهما متشابهة -إلى حدٍّ ما- في هذه المواضيع، غير أن أسلوبهما اختلف بالكامل في عرضها، إذ ظهرت فلسفة الخيَّام في الكثير من رباعياته المدروسة في بحثنا، وظهر أسلوبه الفلسفي في التبرير لنفسه لشربه للخمر، وفي التذرع بالأسباب، وعرض

المقدمات للوصول إلى النتائج في عرض أفكاره أو دحض أفكار لا يأخذ بها، كما أفاد من التناص الديني مع القرآن الكريم والحديث الشريف، وهو ما لم نره في شعر أبي الهندي، ولعل من أكثر التيمات التي تلاقيا فيها طقوس الدفن، إذ كرر كل منهما رغبته في أن يختلط ثراه بالخمر ومستلزماتها، فجعلا الخمرة – بذلك- معادلاً للحياة، وتمسكا بها في مواجهة الموت، وهو ما يبدي البعد الذاتي في لجوئهما إلى الخمر، القائم على الاغتراب الذاتي والشعور بالعبثية، والذي يمكن أن يشكل مادة جيدة للدراسة في مقالة مقترحة مكمِّلة لهذه المقالة.

---

[1] الثعالبي، أبو منصور. 1998م. فقه اللغة وسر العربية. ج2. ط1. مكتبة الخانجي- القاهرة، ص 462/2.

[2] الثعالبي، أبو منصور. 1998م. فقه اللغة وسر العربية. ج2. ط1. مكتبة الخانجي- القاهرة، ص 179/2 و463- 464؛ حيدر، بادية حسين. 1986م. الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه- الجامعة الأمريكية ببيروت، ص 177- 179.

[3] الثعالبي، أبو منصور. 1998م. فقه اللغة وسر العربية. ج2. ط1. مكتبة الخانجي- القاهرة، ص464؛ حيدر، بادية حسين. 1986م. الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه- الجامعة الأمريكية ببيروت، ص180- 186.

[4] الثعالبي، أبو منصور. 1998م. فقه اللغة وسر العربية. ج2. ط1. مكتبة الخانجي- القاهرة، ص464/2 و463؛ حيدر، بادية حسين. 1986م. الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه- الجامعة الأمريكية ببيروت، ص 186- 199.

[5] حيدر، بادية حسين. 1986م. الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه- الجامعة الأمريكية ببيروت، ص132- 133.

[6] نصار، نواف. 2011م. معجم المصطلحات الأدبية. دار المعتز: عمان، ص111.

[7] التونجي، محمد. 1999م. المعجم المفصل في الأدب. ج1 و2. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية- بيروت، ص416/1- 417.

[8] فتحي، إبراهيم. 1986م. معجم المصطلحات الأدبية. التعاضدية العمالية للطباعة والنشر؛ المؤسسة العربية للناشرين المتحدين- صفاقس، ص117؛ التونجي، محمد. 1999م. المعجم المفصل في الأدب. ج1 و2. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية- بيروت، 297/1.

[9] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. 1981م. الشعر والشعراء، ت. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية- بيروت، ص 347.

[10] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. 1981م. الشعر والشعراء، ت. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية- بيروت، ص347؛ الجبوري، كامل سلمان. 2002م. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002. ج4. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية- بيروت، ص 4/ 126-؛ الزركلي، خير الدين. 2002م. الأعلام. ج5. الطبعة الخامسة عشرة. دار العلم للملايين- بيروت؛ ص 114/5.

[11] ضيف، شوقي 1989م. العصر الإسلامي. الطبعة الحادية عشرة. دار المعارف- القاهرة، ص384.

[12] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص3-10.

[13] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان، ص59.

[14] الجبوري، كامل سلمان. 2002م. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002. ج4. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية- بيروت، ص 4/ 76- 77؛ الزركلي، خير الدين. 2002م. الأعلام. ج5. الطبعة الخامسة عشرة. دار العلم للملايين- بيروت، ص 38/5-39.

[15] خيام، مسعود. 1375هـ.ش. خيام وترانهها: الخيَّام وترانيمه. لا مك- طهران، ص 19-31؛ التونجي، محمد. 1999م. المعجم المفصل في الأدب. ج1 و2. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية- بيروت، ص 420/1).

[16] التونجي، محمد. 1999م. المعجم المفصل في الأدب. ج1 و2. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية- بيروت، ص: 420/1.

[17] الجبوري، كامل سلمان. 2002م. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002. ج4. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية- بيروت، ص4/ 76-77.

[18] التونجي، محمد. 1999م. المعجم المفصل في الأدب. ج1 و2. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية- بيروت، ص420/1.

[19] السابق، ص 2/ 473.

[20] السابق، ص 2/ 451.

[21] معين، محمد. 1386هـ.ش. فرهنگ فارسي: معجم فارسي. ج1. الطبعة الثامنة. آدنا- طهران، ص1/ 700.

[22] التونجي، محمد. 1999م. المعجم المفصل في الأدب. ج1 و2. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية- بيروت، ص472/2.

[23] السابق، ص 420/1.

[24] السابق، ص 473/2.

[25] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص47.

[26] الخيَّام، عمر. 1367هـ.ش. رباعيات خيام: رباعيات الخيَّام. باهتمام العلامة جلال الدين همايي. هما- طهران، ص51.

[27] العسقلاني، ابن حجر. لا تا. تبيين العجب بما ورد في شهر رجب. تحقيق طارق الدارعمي. مؤسسة قرطبة- الأندلس، ص40.

[28] العسقلاني، ابن حجر. لا تا. تبيين العجب بما ورد في شهر رجب. تحقيق طارق الدارعمي. مؤسسة قرطبة- الأندلس، ص44.

[29] النجفي، أحمد الصافي. لا تا. تعريب رباعيات الخيَّام. مكتبة الفجر الجديد- لا مك، ص42.

[30] النجفي، أحمد الصافي. لا تا. تعريب رباعيات الخيَّام. مكتبة الفجر الجديد- لا مك، ص49.

[31] الخيَّام، عمر. 1367هـ.ش. رباعيات خيام: رباعيات الخيَّام. باهتمام العلامة جلال الدين همايي. هما- طهران، ص51.

[32] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص19.

[55] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص 41-42.

[56] الخيَّام، عمر. 1367هـ.ش. رباعيات خيام: رباعيات الخيَّام. باهتمام العلامة جلال الدين همايي. هما- طهران، ص72.

[57] السابق، ص81.

[58] الخيَّام، عمر. 1367هـ.ش. رباعيات خيام: رباعيات الخيَّام. باهتمام العلامة جلال الدين همايي. هما- طهران، ص72.

[59] النجفي، أحمد الصافي. لا تا. تعريب رباعيات الخيَّام. مكتبة الفجر الجديد- لا مك، ص16.

[60] النجفي، أحمد الصافي. لا تا. تعريب رباعيات الخيَّام. مكتبة الفجر الجديد- لا مك، ص104.

[61] توما، منير. 2005م. الخمريات وتلاقي المادي بالروحي لدى أبي نواس وعمر الخيام. نشر بتاريخ 28/ 2/ 2005 في موقع الجبهة.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم.

[1]- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. 1981م. الشعر والشعراء، ت. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية- بيروت.

[2]- أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد.

[3]- توما، منير. 2005م. الخمريات وتلاقي المادي بالروحي لدى أبي نواس وعمر الخيام. نشر بتاريخ 28/ 2/ 2005 في موقع الجبهة. تم الاسترجاع من الرابط: https://aljabha-arch.org/indexm.asp?i=9868

[4]- التونجي، محمد. 1999م. المعجم المفصل في الأدب. ج1 و2. الطبعة الثانية. دار الكتب العلمية- بيروت.

[5]- الثعالبي، أبو منصور. 1998م. فقه اللغة وسر العربية. ج2. ط1. مكتبة الخانجي- القاهرة.

[6]- الجبوري، كامل سلمان. 2002م. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002. ج4. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية- بيروت.

[7]- حيدر، بادية حسين. 1986م. الخمر في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه- الجامعة الأمريكية ببيروت، بإشراف د. إحسان عباس. تم الاسترجاع من الرابط: https://ketabpedia.com/%D8%AA%D8%AD%D9%85%D9%8A%D9%84/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%85%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%87%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B9%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%87#elementor-action%3Aaction%3Dpopup%3Aopen%26settings%3DeyJpZCI6IjE0Nzg1ODAiLCJ0b2dnbGUiOmZhbHNlfQ%3D%3D

[8]- الزركلي، خير الدين. 2002م. الأعلام. ج5. الطبعة الخامسة عشرة. دار العلم للملايين- بيروت.

[9]- ضيف، شوقي 1989م. العصر الإسلامي. الطبعة الحادية عشرة. دار المعارف- القاهرة.

[10]- العسقلاني، ابن حجر. لا تا. تبيين العجب بما ورد في شهر رجب. تحقيق طارق الدارعمي. مؤسسة قرطبة- الأندلس. تم الاسترجاع من الرابط:

[33] النجفي، أحمد الصافي. لا تا. تعريب رباعيات الخيَّام. مكتبة الفجر الجديد- لا مك، 19.

[34] الخيَّام، عمر. 1367هـ.ش. رباعيات خيام: رباعيات الخيَّام. باهتمام العلامة جلال الدين همايي. هما- طهران، ص136.

[35] السابق، ص134.

[36] الغفيلي، عبد الله بن محمد. 1432هـ.ق. أحكام الشريعة الغراء في كيفية الغسل والتكفين والعزاء. دار الرضوان لنشر الكتاب الإسلامي- لا مك، ص96-111.

[37] الغفيلي، عبد الله بن محمد. 1432هـ.ق. أحكام الشريعة الغراء في كيفية الغسل والتكفين والعزاء. دار الرضوان لنشر الكتاب الإسلامي- لا مك، ص123.

[38] الغفيلي، عبد الله بن محمد. 1432هـ.ق. أحكام الشريعة الغراء في كيفية الغسل والتكفين والعزاء. دار الرضوان لنشر الكتاب الإسلامي- لا مك، ص 168.

[39] الغفيلي، عبد الله بن محمد. 1432هـ.ق. أحكام الشريعة الغراء في كيفية الغسل والتكفين والعزاء. دار الرضوان لنشر الكتاب الإسلامي- لا مك، ص174.

[40] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص25- 26.

[41] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان، ص33- 34.

[42] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص41- 42.

[43] الخيَّام، عمر. 1367هـ.ش. رباعيات خيام: رباعيات الخيَّام. باهتمام العلامة جلال الدين همايي. هما- طهران، ص52.

[44] السابق، ص 52/ هامش.

[45] السابق، ص 66.

[46] السابق، ص67.

[47] النجفي، أحمد الصافي. لا تا. تعريب رباعيات الخيَّام. مكتبة الفجر الجديد- لا مك، ص89.

[48] السابق، ص54.

[49] توما، منير. 2005م. الخمريات وتلاقي المادي بالروحي لدى أبي نواس وعمر الخيام. نشر بتاريخ 28/ 2/ 2005 في موقع الجبهة. تم الاسترجاع بتاريخ 29سبتمبر 2024 من الرابط: https://aljabha-arch.org/indexm.asp?i=9868

[50]أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص54.

[51] الخيَّام، عمر. 1367هـ.ش. رباعيات خيام: رباعيات الخيَّام. باهتمام العلامة جلال الدين همايي. هما- طهران، ص52.

[52] السابق، ص 55.

[53] النجفي، أحمد الصافي. لا تا. تعريب رباعيات الخيَّام. مكتبة الفجر الجديد- لا مك، ص78.

[54] أبو الهندي، غالب. 1970م. الديوان. باهتمام عبد الله الجبوري. مكتبة الأندلس- بغداد، ص34.

book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D9%81%D9%8A-%D9%83%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B3%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%83%D9%81%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B2%D8%A7%D8%A1-pdf

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%AA%D8%A8%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AC%D8%A8-%D8%A8%D9%85%D8%A7-%D9%88%D8%B1%D8%AF-%D9%81%D9%8A-%D8%B4%D9%87%D8%B1-%D8%B1%D8%AC%D8%A8-%D8%AA-%D8%B9%D9%88%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-pdf#

الغفيلي، عبد الله بن محمد. 1432هـ.ق. أحكام الشريعة الغراء في كيفية الغسل والتكفين والعزاء. دار الرضوان لنشر الكتاب الإسلامي- لا مك. تم الاسترجاع من الرابط: https://www.noor-